تفسير ابن كثير

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

وقوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) قال البخاري : حدثني محمد ،

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن

أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل لبني إسرائيل : (

ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة) فدخلوا يزحفون على استاهمهم ، فبدلوا وقالوا : حطة :

حبة في شعرة . ورواه النسائي ، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن

مهدي به موقوفا وعن محمد بن عبيد بن محمد ، عن ابن المبارك ببعضه مسندا ، في

قوله تعالى : (حطة) قال : فبدلوا . فقالوا : حبة . وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن همام

بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله لبني

إسرائيل : (وادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة نغفر لكم خطاياكم) فبدلوا ، ودخلوا الباب

يزحفون على استاهمهم ، فقالوا : حبة في شعرة . وهذا حديث صحيح ، رواه البخاري عن

إسحاق بن نصر ، ومسلم عن محمد بن رافع . والترمذي عن عبد بن حميد ، كلهم عن عبد الرزاق ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال محمد بن إسحاق : كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة ، وعمن لا أتهم ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دخلوا الباب - الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدا - يزحفون على استاهمهم ، وهم يقولون : حنطة في شعيرة . وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، وحدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله لبني إسرائيل : (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) ثم قال أبو داود : حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا ابن أبي فديك ، عن هشام بن سعد ، مثله . هكذا رواه منفردا به في كتاب الحروف مختصرا . وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سرنا مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من آخر الليل ، أجزنا في ثنية يقال لها : ذات الحنظل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل : (ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة نغفر لكم خطاياكم)
وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : (سيقول السفهاء من الناس) [البقرة : 142] قال اليهود : قيل لهم : ادخلوا الباب سجدا ، قال : ركعا ، وقلوا : حطة : أي مغفرة ، فدخلوا على استاهم ، وجعلوا يقولون : حنطة حمراء فيها شعيرة ، فذلك قول الله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) . وقال الثوري ، عن السدي ، عن أبي سعد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن ابن مسعود : (وقلوا حطة) فقالوا : حنطة حبة حمراء فيها شعيرة ، فأنزل الله : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وقال أسباط ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : هطي سمعانا أزية مزيا فهي بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء ، فذلك قوله : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وقال الثوري ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس في قوله : (ادخلوا الباب سجدا) ركعا من باب صغير ، فدخلوا من قبل

استأههم ، وقالوا : حنطة ، فهو قوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
(وهكذا روي عن عطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع
بن أنس ، ويحيى بن رافع . وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق من الحديث
أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل ، فأمرُوا أن يدخلوا سجدا ، فدخلوا
يزحفون على استأههم من قبل استأههم رافعي رؤوسهم ، وأمرُوا أن يقولوا : حطة ، أي :
احطط عنا ذنوبنا ، فاستهزؤوا فقالوا : حنطة في شعرة . وهذا في غاية ما يكون من
المخالفة والمعاندة ؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم ، وهو خروجهم عن
طاعته ؛ ولهذا قال : (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) وقال
الضحاك عن ابن عباس : كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب . وهكذا روي
عن مجاهد ، وأبي مالك ، والسدي ، والحسن ، وقتادة ، أنه العذاب . وقال أبو العالية :
الرجز الغضب . وقال الشعبي : الرجز : إما الطاعون ، وإما البرد . وقال سعيد بن جبير : هو
الطاعون . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن
حبيب بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد - يعني ابن أبي وقاص - عن سعد بن مالك ،

وأسامة بن زيد ، وخزيمة بن ثابت ، رضي الله عنهم ، قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم . وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به . وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت : إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها الحديث . قال ابن جرير : أخبرني يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إن هذا الوجد والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم . وهذا الحديث أصله من مخرج في الصحيحين ، من حديث الزهري ، ومن حديث مالك ، عن محمد بن المنكدر ، وسالم أبي النضر ، عن عامر بن سعد ، بنحوه .